معجزة القرآن الكريم خصائصها وأثرها على ثقافة الشعوب

بكري محمد بخيت أحمد
كلية القرآن الكريم – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
أم درمان - السودان
Email: bakriahmad893@gmail.com

الملخص

يتحدث هذا البحث عن معجزة القرآن الكريم وما حباها الله تعالى به من خصائص فريدة، جعلت لها التميز عن كل المعجزات، ولذلك كان لها الأثر الفعَّال في تغيير حياة كل الشعوب، وتعديل أنماط حياتهم إلى ما هو أفضل في الأخلاق والقِيم والسلوك الفردي والجماعي، ولم يقتصر دورها على شعب دون شعب أو أمة دون أمة، بل كان أثرها عاما كما هي معجزة لكل العالمِين.

This study explores the miracles of the Qur'an as well as its superiorities given by Allah that distinguish it from the other miracles. One of the miracles is its power to influence and change the life of a nation into a better living, both individually and socially. The notable miracle of the Qur'an is not limited to a particular nation or community, but its effect is general as the miracle for the whole universe

الكلمات المفتاحية: معجزة القرآن؛ خصائصها؛ أثرها الثقافي

مقدمة

الحمد لله الذي أحيا الأرض بالنبات، وخلق الإنسان وعلمه بالدين والرسالات وأرسل الرسل وأيَّدهم بالمعجزات، وما خلت أمة منهم إلا وأنذروا من الكفر والمعاصي وبشروا على

DOI: http://dx.doi.org/10.18860/el.v19i1.4052

الإيمان والطاعة بالحسنات ودخول الجنات حتى ختموا بسيد السادات نبينا محمد ﷺ الخاتم العاقب الذي تمت به النعمة من رب السموات، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من الأنبياء وأرباب الرسالات. وبعد!

فقد جرت سنة الله تعالى أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين كلما كثر في الأرض الفساد وظهر الجهل وعمت الظلمات، وقد أيد الله تعالى رسله بالبراهين الساطعة والمعجزات الباهرات الدالة على صدقهم وأن ما جاءوا به حق من عند الله تعالى.

وقد تعددت معجزات الأنبياء عليهم السلام وتنوعت بحسب ما دعا إليه الحال واقتضى الظرف ذلك، حتى كان لنبينا ﷺ أوفر الحظ منها وأولها وأعظمها القرآن الكريم الذي باين الله بينه وبين سائر المعجزات، فكان وحياً يوحى باقياً على مر الأوقات محفوظاً بحفظ الله تعالى له من كل تبديل أو نقص أو زيادات، وفي هذا البحث أردت أن أجمع ما جاء منثوراً في الكتب عن خصائص معجزة هذا الكتاب، وكان عليَّ أولاً أن أوضح أنني لا أقصد الكتابة عن خصائص القرآن الكريم ككتاب، فهذه قد أوفاها العلماء بحثاً وأفاضوا في بيان أوجه الإعجاز في هذا الكتاب العظيم، ولكن سأكتب عن خصائصه من ناحية أنه المعجزة الكبرى التي أيد الله تعالى بها رسولَه محمدا ﷺ. وقد كانت للنبي ﷺ غيره كثير من المعجزات، وكذلك أوتي الرسل قبله. والسؤال الذي يُجيب عليه هذا البحث: بمَ ميّز الله تعالى هذه المعجزة من بين سائر المعجزات، وما أثرها على ثقافة الشعوب؟

فهذا هو مقصدي وموضوع بحثي ولذا سميته «معجزة القرآن الكريم خصائصها وأثرها على ثقافة الشعوب»، وذلك لأن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى، فهو للناس كافة إلى يوم القيامة، وقد كان للقرآن الكريم تأثيره على كل جوانب الحياة، وإنما اخترنا الحديث عن الآثار الثقافية حتى نُوضِّح تأثير القرآن الشامل على المسلم وغير المسلم، فعند المسلم ظهَر علمًا وتطبيقا، وعند غير المسلم كان رافدا من روافد العلم والمعرفة لا ينضب على مرِّ الزمان.

وسبب اختياري لهذا الموضوع بحسب اطلاعي المتواضع أن هذا الجانب الذي تناوله البحث وهو الخصائص والآثار الثقافية قد قل الحديث عنها، فأردت أن أساهم بجمع ما تناثر عن هذا الموضوع حتى يكون في مكان واحد.

فجهدي إذن في هذا البحث هو جمع للمتفرق والمتناثر من أقوال سلفنا الصالح وعلماءنا الأجلاء وترتيبها في مباحث حتى يسهل الاطلاع عليها والاستفادة منها بإذن الله.

واتبعت في ذلك المنهج الاستقرائي الاستنباطي في رسم وتحديد معالم هذا البحث وقد جاءت مباحثه على النحو التالي:

المبحث الأول: معنى المعجزة وشروطها

المبحث الثاني: إنها معجزة عقلية باقية

المبحث الثالث: تعدد وتجدد وجوه الإعجاز فيها

المبحث الرابع: كونها حافظة وشاهدة لمعجزات الأنبياء

المبحث الخامس: إنها معجزة للثقلين

المبحث السادس: آثارها على ثقافة الشعوب

ثم ذيلت هذا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي وردت فيه، وأسأل الله تعالى أن يكون عملي هذا صالحاً، ولوجهه خالصاً، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً، وأن ينفع به – آمين.

المبحث الأول: معنى المعجزة وشروطها

المطلب الأول: معنى المعجزة

المعجزة في اللغة تأتي من الفعل أعجز وعجز وهو عدم القدرة، أو الضعف عن فعل الشيء كما جاء في معاجم اللغة: «ويقال: عجَز يعجز عن الأمر، إذا قصر عنه». (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٥: ٣٧٠).

وفي القاموس: «وأعجزه الشيء فاته، وفلاناً، وجده عاجزاً وصيرهُ عاجزاً، والتعجيز التثبيط والنسبة إلى العجز. ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم: ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة». (الفيروز أبادي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م، ١: ٥١٦).

وأما المعجزة في الاصطلاح كما عرفها صاحب الإتقان بقوله: «اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي سالم من المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية» (السيوطي، عبد الرحمن، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٤: ٢).

وإعجاز القرآن الكريم معناه عجز الإنس والجن عن معارضته ومجاراته والإتيان بمثل ما اشتمل عليه من النظم والإخبار عن المغيبات ومكنونات العلم، ويبين صاحب المناهل أن المقصود من المعجزة هو لازمها فيقول: «ولكن التعجيز المذكور ليس مقصوداً لذاته، بل المقصود لازمه، وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول ﷺ الذي جاء به رسول صدق، وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء، ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز، ولكن للازمه وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله، فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر

لحكمة عالية وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة» (الزرقاني، د.ت. ٢: ٣٣١).

ومما سبق نعرف بأن المعجزة ما أيد الله تعالى به رسله من الخوارق حسية أو عقلية، إظهارا لصدقهم وتقوية لحجتهم ونصرة لدعوتهم، حتى يتيقن الناس من رسالاتهم ويتبعونهم على الصراط المستقيم.

ولما كانت أحوال الناس مختلفة من حيث الإيمان والتصديق، ومن حيث إشراق قلوبهم وإدراكها للحق من غير حاجة إلى معجزات، وأخرى مظلمة لا تقبل الحق ولو أيدته آلاف المعجزات، اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد رسله بالمعجزات، لأن عامة الناس يحتاجون إليها لتصديق دعوة الحق. وأما المؤمنون الذين لا يحتاجون إلى المعجزات، وكذلك المكذبون الذين لا تنفع معهم المعجزات وإن كثرت فهُم قِلة، كما بيّن ذلك الإمام حسن البنا بقوله: «وكلا الصنفين قليل في الناس، وإنما يكون عامة الناس ودهماؤهم في درجة عادية من الإدراك العقلي، تحتاج إلى ما ينبهها من غفلتها ويوقظها من رقدتها، وليس ذلك إلا المعجزة تقرع آذانهم، وتتفتح عليها أبصارهم، فتحار فيها مداركهم وعقولهم، ويؤمنون بأن هذا النبي ﷺ إنما يتحدث عن قوة فوق قوتهم، ويتصل بقدرة أعظم من قدرتهم، ويستمد من عالم أسمى من عوالمهم، ومن هذا الشعور يقادون إلى الإيمان وتتفتح بصائرهم لاستيعاب أدلته والنظر في حججه وبراهينه، حتى يترقوا من هذا التسليم إلى غايته وحقيقته ولهذا كانت المعجزة من لوازم الرسالة» (حسن البنا، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢ م، ٤١٤ ـ ٤١٥).

وقد دعت الحاجة إليها لهذا المقصد، وكانت مهمة في تأكيد الحق في نفوس الناس حتى يذعنوا إليه طائعين.

المطلب الثاني: شروط المعجزة

من خلال التعريف السابق للمعجزة يتضح لنا أن للمعجزة شروطا وأركانا لا بد أن تتوفر فيها حتى تسمى معجزة، وإليك الشروط - كما استقرأها العلماء – وهي:

١- أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: سواء أكان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال كتسبيح الحصى، وحنين الجذع، ومثل القرآن الكريم، أو أن يكون من قبيل الفعل كانفجار الماء من بين أصابع الرسول ﷺ، وتكثير الطعام القليل وكفايته للجمع الكثير، أو من قبيل الترك مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وعدم إغراق الماء لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وقومه، وعدم سيلانه عليهم.

وأما إذا كان الأمر من الأمور الاعتيادية للناس ومع ذلك لم يستطع الناس الإتيان بها يكون المانع هو الأمر الخارق، وليس هذا الأمر المعتاد، فلو قال: معجزتي عدم استطاعتكم وضع أيديكم على رؤوسكم فلم يستطيعوا بالفعل لكان هذا المنع في هذه اللحظة هو المعجزة، وليس عملية وضع الأيدي.

٢- أن يكون الخارق من صنع الله وإنجازه يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [غافر: ٧٨] فالمعجزة هبة من الله تعالى لا يستطيع أحد أن يعيّن زمانها: ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١٠٩]،

٣- سلامتها من المعارضة: فلو استطاع الخصم أن يأتي بمثل ما جاء النبي بطلت حجته ولم يسلم له ادعاؤهُ أن هذه الخارقة أو هذا الأمر دليل على صدقه وأمارة على بعثته من قِبل الله سبحانه وتعالى.

٤- أن تقع على مقتضى قول من يدعيها (وقوعها على مقتضى الدعوى). يشترط في المعجزة أن تكون موافقة لقول مدعيها غير مخالفة سواء أكان هذا الأمر مطابقاً لطلب المعاندين أو مخالفاً له، لأن الرسول يبلغ عن أمر ربه في تحديد نوع المعجزة وزمانها ولا دخل له في هذا التعيين فإذا جاءت المعجزة على وجه غير الوجه الذي عين الرسول لم تكن دليلاً على صدقه بل تثير عندئذ الشكوك حول ادعائه، ومن هذا القبيل ما وقع لبعضهم مما يطلق عليه العلماء اسم «الإهانة» فإذا مسح على المريض ليشفى فمات، أو بصق في البئر لتكثير مائه فغار، كما ذكرت بعض الروايات في شأن مسيلمة الكذَّاب، فلا تكون معجزةً، بل هي إهانة له ودليل على كذبه.

٥- التحدي بها: وهذا شرط أساسي في المعجزة لإثبات عجز الجاحدين، وإقامة الحجة عليهم، فإن عدم التحدي للمعجزة لا يبرزها كدليل وبرهان، لكيلا يقول قائل فيما بعد: أنه لو تحدى بالمعجزة القوم لتمكنوا من الإتيان بها. والتحدي يكون بالقول الصريح بأن يقول الرسول دليل صدقي وصحة ما جئت به هو عجزكم عن الإتيان بمثل هذا الأمر الذي أفعله. كما يكون التحدي «بالقوة» حيث لا يكون هناك تحدٍ ظاهر لأن المقام لا يستدعيه ولكن لو وجد لأفحم المتحدي به، ومن هذا القبيل الخوارق التي وقعت علي يد رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه وهم مؤمنون به، فمثلاً نبع الماء بين أصابع رسول الله ﷺ لم يكن في مضمار تحدٍ لإثبات رسالة، ومثل ذلك تسبيح الحصى في يده، كما

في الحديث: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخَذَ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ، ... (الطبراني، ٤: ٢٤٥، رقم ٤٠٩٧). وحنين الجذع إليه كما في حديث جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ. (البخاري، ٤: ١٩٥، رقم ٣٥٨٥). فقد وقعت هذه الخوارق في جو إيماني وفي مجتمع إسلامي.

وقد فرق بعض العلماء بين الخارقة التي يتحدى بها الرسول القوم ويجعلها آية صدقه وبرهان صحة رسالته وبين الخارقة التي لا تقترن بالتحدي وتقع بين المؤمنين برسالة الرسول، فأطلقوا على النوع الأول اسم المعجزة، وأطلقوا على النوع الثاني اسم «دلائل النبوة». يقول الإمام ابن حجر في فتح الباري شرح «باب علامات النبوة»: العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده في ذلك أعم من المعجزة والكرامة.

والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى بها النبي من يكذبه بأن يقول: إن فعلت كذا أتصدق بأني صادق أو يقول من يتحداه لا أصدقك حتى تفعل كذا. ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن. (ابن حجر العسقلاني، ١٤٧٩هـ، ٦: ٥٨١).

٦- أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل أي يجعلها الرسول دليل صدق رسالته لإثباتها وينسب هذا الأمر لله عز وجل فيقول مثلاً: آيتي أن يقلب الله سبحانه وتعالى هذه العصا ثعباناً، أو يحي الله سبحانه وتعالى هذا الميت عند قولي له «قم».

٧- تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة لأنه بمثابة الشاهد، ولا يقوم الشاهد إلا بعد قيام الدعوى، أما إذا تقدم على دعوى الرسالة، فيكون من قبيل «الإرهاص» وهي الأمور التي تتقدم على الرسالة وتمهد لها (مصطفى مسلم، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م، ١٩-٢٢)، كتظليل الغمامة لرسول الله ﷺ وهو في سفره إلى الشام قبل البعثة، كما جاء في السيرة الحلبية. «وتظليل الغمامة له ﷺ كان قبل النبوة تأسيسا لها» (الحلبي، أبو الفرج، علي بن إبراهيم بن أحمد. ١٤٢٧هـ.١: ٢٠٤).

ومما سبق يتبين لنا أن كل هذه الشروط المتقدمة قد انطبقت على معجزات الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم، وانطبقت على القرآن الكريم الذي هو المعجزة الكبرى والآية العظمى للنبي ﷺ، وللناس كافة إلى يوم الدين.

والذي يريد هذا البحث بيانه والتفصيل فيه ما اختصت به هذه المعجزة وتميزت عن سائر المعجزات الأخرى لنبينا ﷺ ولإخوانه الأنبياء من قبله فنسأل الله التوفيق والإعانة.

المبحث الثاني: إنها معجزة عقلية باقية

وهذه الصفة تناسب طبيعة الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ حيث أنها كانت آخر الرسالات وللناس كافة إلى يوم الدين، ولذلك يقول الإمام السيوطي رحمه الله في الإتقان بياناً لهذه الميزة: «ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ» (البخاري، ٦ : ١٨٢، رقم ٤٩٨١)، قيل أن معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه، وقيل المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فتكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً». (السيوطي، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م، ٤: ٢-٣). ويضيف ابن خلدون في تأريخه معنى آخر للقرآن الكريم، وهو دليله في نفسه وإعجازه في ذاته لا يحتاج لشيء خارجي فقال: «فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالةً القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ، فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ﷺ ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه، والقرآن الكريم هو بنفسه الوحي المدعى، وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه. وهذا معنى قوله ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»، يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها، فكثر المصدق المؤمن وهو التابع والأمة» (ابن خلدون، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م، ١: ١١٩).

ويضيف الشيخ الشعراوي في كتابه معجزة القرآن معاني أخرى لخلود وبقاء هذه المعجزة فيقول: إذا نظرنا إلى المعجزات السابقة، وجدنا هذه المعجزات فعل من أفعال الله

وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله الله، البحر انشق لموسى ثم عاد لطبيعته، النار لم تحرق إبراهيم، ولكنها عادت لخاصيتها بعد ذلك ولكن معجزة النبي ﷺ صفة من صفات الله، وهي كلامه والفعل باق بإبقاء الفاعل له، والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه.

ويلاحظ أيضا في معجزة القرآن أنها اختلفت عن معجزات الرسل اختلافاً آخر، كل رسول كانت له معجزة وله كتاب منهج. معجزة موسى العصا ومنهجه التوراة، ومعجزة عيسى الطب ومنهجه الإنجيل، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزته هي عين منهجه ليظل المنهج محروسا بالمعجزة، وتظل المعجزة في المنهج، ومن هنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن داخلة في نطاق التكليف بمعنى أن الله سبحانه وتعالى كان يكلف عباده بالمحافظة على الكتاب، أما القرآن فقد قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، لماذا؟ أولاً لأن القرآن معجزة، وكونه معجزة لا بد أن يبقى بهذا النص، وإلا ضاع الإعجاز.

وثانيا: لأن الله جرب عباده في الحفاظ على الكتب السابقة فنسوا حظاً مما ذكروا به. والذي لم ينسوه كتموا بعضه. والذي لم يكتموه يلوون ألسنتهم به ويحرفونه عن موضعه، وهكذا نرى أنه كان هناك من نوع، «المسخ والنسيان والتحريف» ثم جاءوا بأشياء من عندهم وقالوا إنها من عند الله ليشتروا بها ثمناً قليلاً (الشعراوي، ٩-١١).

ويذكر صاحب النبأ العظيم سر اختصاص القرآن الكريم بالخلود وعدم التحريف، دون الكتب السابقة فقال: «والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت، لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته، وكان ساداً مسدها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا قضى الله أمراً يسر له أسبابه، وهو الحكيم العليم (دراز، محمد عبد الله، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ٤٣).

ومما سبق نخلص إلى أن القرآن الكريم معجزة اختصت بالخلود والبقاء. وهي معجزة عقلية دليلها في نفسها لا تحتاج إلى دليل خارجي وهي باقية لأنها صفة من صفات الباقي جل جلاله وهي من كلامه.

المبحث الثالث: تعدد وتجدد وجوه الإعجاز فيها

وهذه الصفة تميز بها القرآن الكريم كمعجزة فلم يكن الإعجاز فيه على وجه واحد بل حوت معجزة القرآن الكريم معجزات كثيرة ومتجددة الأمر الذي اختص به دون

معجزات الأنبياء السابقين. وفي ذلك يقول القاضي عياض رحمه الله عن هذه المعجزات: «فإن واحداً منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين، ولا أكثر لأن النبي ﷺ قد تحدى بسورة منه فعجز عنها، قال أهل العلم وأقصر السور: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]، فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة، ثم فيها نفسها معجزات». ولهذا وصف رسول الله ﷺ القرآن بأنه لاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضي عبره، ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء. (القاضي عياض، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م، ١: ٢٥٣ـ٢٧٧).

ونص الحديث كما رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ. فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: كِتَابُ الله فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ الله الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا:﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ [الجن: ١ – ٢]، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.(الترمذي، ١٩٩٨ م، ٥: ١٧٢، رقم ٢٩٠٦).

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّه، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَةِ اللَّه مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّه، وَهُوَ النُّورُ الْبَيِّنُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتِبُ، وَلَا تَنْقَضي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ» (ابن أبي شيبة، ١٤٠٩ هـ، ٦: ١٢٥، رقم ٣٠٠٠٨).

والشاهد في هذه الأحاديث أن القرآن الكريم كما وصفه رسول الله ﷺ قد انطوى على ألوان المعجزات والعلوم التي لا تحصى ولا تنتهي، ويعبر عن هذا صاحب مناهل العرفان بقوله: «الناظر في هذا الكتاب الكريم بإنصاف تتراءى له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز كما تتراءى للناظر إلى قطعة من الماس ألوان عجيبة متعددة بتعدد ما فيها من زوايا وأضلاع مختلفة باختلاف ما يكون عليه الناظر وما تكون عليه قطعة الماس من الأوضاع (الزرقاني، ٢: ٢٥٩).

وخلاصة القول إن معجزة القرآن الكريم قد حوَت وجوها متعددة ومتجددة من الإعجاز، وقد اجتهد العلماء في تعيين وتحديد بعض الأوجه التي اشتملت عليها هذه المعجزة منها الإعجاز البلاغي والإعجاز في التشريع والإعجاز العلمي الذي اشتملت عليه كثير من الآيات الكونية في القرآن الكريم، وستبقى هنالك وجوه لم يحن الوقت لمعرفتها واكتشافها من بحر القرآن الزاخر بكنوز المعرفة وخزائن الأسرار ومكنون العلوم.

المبحث الرابع: كونها حافظة وشاهدة لمعجزات الأنبياء

والمقصود أن القرآن الكريم بالإضافة إلى أنه معجزة النبي ﷺ التي أيده الله تعالى بها فهو كذلك شاهد وحافظ ومؤيد للأنبياء السابقين وحافظاً لسيرتهم ومعجزاتهم التي أيدهم الله تعالى بها، وكما سبق أن معجزات الأنبياء كانت حسية وقتية فحفظها هذا الكتاب المعجز وقص خبرها للناس وسيظل يخبر بها حتى تكون شاهداً لهم بأنهم قد بلغوا عن ربهم، والقرآن الكريم اختص بأنه الشاهد الوحيد الباقي والمحفوظ من رب العالمين، كما بين ذلك الزرقاني بقوله: «أنه لم يبق على وجه الأرض شاهد مقبول الشهادة إلا هذا الكتاب الذي أنزله الله مقرراً لنبوة الأنبياء السابقين وأديانهم ومصححاً لأغلاط اللاغطين فيها والمحرفين لها ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] (الزرقاني، ٢: ٢٥٩).

وقد جاء في تفسير هذه الآية: ولما ذكر سبحانه وتعالى الكتابين ذكر ختامهما وتمامهما وهو ما أنزل إلى هذا النبي الأمي ﷺ من الفرقان الشاهد على جميع الكتب التي قبله، فقال تعالى: (وَأَنزَلْنَآ) أي بعظمتنا (إِلَيْكَ) أي خاصة (ٱلْكِتَٰبَ) أي الكامل في جمعه لكل ما يطلب منه وهو القرآن (بِٱلْحَقِّ) أي الكامل الذي لا يحتاج إلى شيء يتمه، ثم مدحه بمدح الأنبياء الذين تقدموه فقال (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه.

ولما كانت الكتب السماوية في شدة تصادقها كالشيء الواحد عبر بالمفرد لإفادته ما يفيد الجمع وزيادة دلالة على ذلك فقال: (مِنَ ٱلْكِتَٰبِ) أي الذي جاء به الأنبياء من قبل (وَمُهَيْمِنًا) أي شاهدا حافظا مصدقاً وأميناً رقيباً (عَلَيْهِ) أي على كل كتاب تقدمه ـ كما قاله البخاري (البخاري، ٦: ١٨١) في أول الفضائل في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي هذه البشارة لحفظه سبحانه وتعالى لكتابنا حتى لا يزال بصفة الشهادة، فإن الله تعالى استحفظهم كتبهم فعجزوا عنها، فحرفها محرفهم وأسقط منها مسرفوهم، فتكفل هو بحفظ كتابنا فكان قيما عليها (البقاعي، ٢: ٤٧٧).

وجاء في مفاتح الغيب «إنما كان القرآن مهيمناً على الكتب، لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخاً البتة، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف على ما قاله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبداً، فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبداً (الرازي، ١٤٣٠هـ، ١٢: ٣٧١).

وبفضل هذه المعجزة الخالدة نالت أمة محمد ﷺ شرف الشهادة للأنبياء السابقين بأنهم قد بلغوا أقوامهم كما جاء ذلك في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال القرطبي رحمه الله في تفسيرها (لِّتَكُونُوا۟) نصب بلام كي، أي لأن تكونوا (شُهَدَآءَ) خبر كان (عَلَى ٱلنَّاسِ) أي في المحشر للأنبياء على أممهم، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ: يُدْعَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ! فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، (البخاري، ٦: ٢١، رقم الحديث ٤٤٨٧)، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ مُطَوَّلًا ابن المبارك بمعناه وَفِيهِ: (فَتَقُولُ تِلْكَ الْأُمَمُ كَيْفَ يَشْهَدُ عَلَيْنَا مَنْ لَمْ يُدْرِكْنَا فَيَقُولُ لَهُمُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ كَيْفَ تَشْهَدُونَ عَلَى مَنْ لَمْ تُدْرِكُوا فَيَقُولُونَ رَبَّنَا بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا وَأَنْزَلْتَ إِلَيْنَا عَهْدَكَ وَكِتَابَكَ وَقَصَصْتَ عَلَيْنَا أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا فَشَهِدْنَا بِمَا عَهِدْتَ إِلَيْنَا فَيَقُولُ الرَّبُّ صَدَقُوا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً- وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ (القرطبي، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ٢: ١٥٤-١٥٥).

المبحث الخامس : إنها معجزة للثقلين

وهذه الصفة تميزت بها معجزة القرآن الكريم دون معجزات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، فقد كانت معجزاتهم تتحدى أقوامهم خاصة، أما معجزة القرآن فقد عم التحدي بها عالم الإنس وكذلك عالم الجن، فدل ذلك على قوتها وتفردها وتميزها، وفي ذلك ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وإليك أقوال المفسرين في بيان هذه الآية:

جاء في البحر المديد (ثم نوه بقدر الكتاب الذي أنزله فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ واتفقوا ﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ المنعوت بما لا تدركه العقول

من النعوت الجليلة في البلاغة، وحسن النظم، وكمال المعنى، ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ أبدًا لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة، التي لم يكن لأحد بها علم، ثم جاءت فيه على الكمال، ولذلك عجزوا عن معارضته. وقال أكثر الناس: إنما عجزوا عنه لفصاحته، وبراعته، وحسن نظمه. ووجوه إعجازه كثيرة. وإنما خص الثقلين بالذكر لأن المنكر كونه من عند الله منهما، لا لأنَّ غيرهما قادر على المعارضة. وإنما أظهر في محل الإضمار، ولم يقل: لا يأتون به لئلا يتوهم أن له مثلاً معينًا، وإيذانًا بأن المراد نفي الإتيان بمثَلٍ مَّا، أي: لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة، وفيهم العرب العاربة، أرباب البراعة والبيان. فلا يقدرون على الإتيان بمثله ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي: ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان بمثله ما قدروا. وهو عطف على مقدّر، أي: لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرًا لبعض، ولو كان.. الخ. ومحله النصب على الحالية، أي: لا يأتون بمثله على كل حال مفروض، ولو على هذه الحالة (أبو العباس، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. ١٤١٩ هـ، ٣ : ٢٣١).

وجاء في البحر المحيط: لما ذَكَرَ تَعَالَى إِنْعَامَهُ عَلَى نَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّبُوَّةِ بِإِنزال وَحْيِه عَلَيْهِ وَبَاهِرَ قُدْرَتِه بِأَنَّهُ تَعَالَى لَوْ شَاءَ لَذَهَبَ بِالْقُرْآن، ذَكَرَ مَا مَنَحَهُ تَعَالَى مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى نَبُوَّتِه الْبَاقِي بَقَاءَ الدَّهْرِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي عَجَزَ الْعَالَمُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِه، وَأَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ وَالْفَضْلِ الَّذِي أَبْقَى لَهُ ذِكْرًا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَرَفَعَ لَهُ قَدْرًا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِذَا كَانَ فُصَحَاءُ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ وَبُلَغَاؤُهُمْ عَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلِه فَلَأَنْ يَكُونُوا أَعْجَزَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ جَمِيعِه، وَلَوْ تَعَاوَنَ الثَّقَلَانِ عَلَيْهِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِه وَلَوْ كَانَ الْجِنُّ تَفْعَلُ أَفْعَالًا مُسْتَغْرَبَةً كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدْرِجُوا مَعَ الْإِنْسِ فِي التَّعْجِيزِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الْعَجْزِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْمَلَائِكَةُ مُنْدَرِجِينَ تَحْتَ لَفْظِ الْجِنِّ لِأَنَّهُ قَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ هَذَا الِاسْمُ كَقَوْلِه وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا، وَإِنْ كَانَ الْأَكْثَرُ اسْتِعْمَالَهُ فِي غَيْرِ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَشْكَالِ الْجِنِّيَّةِ الْمُسْتَتِرِينَ عَنْ أَبْصَارِ الْإِنْسِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ الْجِنِّ هُنَا لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعِثَ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَوَقَعَ التَّعْجِيزُ لِلثَّقَلَيْنِ معا لذلك. (أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل. ١٤٢٠ هـ. ٧: ١٠٨)

وجاء في تفسير السعدي: وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه.

ووقع كما أخبر الله، فإن دواعي أعدائه المكذبين به، متوفرة على رد ما جاء به بأي وجه كان، وهم أهل اللسان والفصاحة، فلو كان عندهم أدنى تأهل وتمكن من ذلك لفعلوه.

فعلم بذلك، أنهم أذعنوا غاية الإذعان، طوعًا وكرهًا، وعجزوا عن معارضته. وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الذي ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب المطلق الأرض والسماوات المطلع على سائر الخفيات، الذي له الكمال، والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا، والأشجار كلها أقلام، لنفذ المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلمات الله.

فكما أنه ليس أحد من المخلوقين مماثلا لله في أوصافه فكلامه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد، فليس كمثله شيء، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله تبارك وتعالى. (السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ١٤٢٠هـ، ٤٦٦).

قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]

وهذه الآية: نزلت في قوم من اليهود جادلوا النبي ﷺ في القرآن وسألوه آية غير القرآن تدل على نبوته وادعوا أنهم يقدرون على مثل هذا القرآن فأعجزهم الإتيان بمثله فقيل لهم: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣] فأعجزهم ذلك. فقيل لهم: ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨] فأعجزهم ذلك وقد كان عصرهم عصر فصاحة وبلاغة.

وقيل: إن الخطاب بذلك لقريش وهم الذي عجزوا عن الإتيان بسورة وبعشر سور وهم أهل الفصاحة والبلاغة والشعر والخطابة، وكانوا على حرص على أن يأتوا بما يحتجون به على النبي ﷺ. فلم يقدروا على الإتيان بشيء من ذلك تقوم لهم به حجة فدل ذلك على إعجاز القرآن وأنه دليل على نبوة محمد ﷺ.

فمن إعجاز القرآن تأليفه بالأمر والنهي والوعظ والتنبيه والخبر والتوبيخ وذلك لا يوجد متألفاً في كلام. ومن إعجازه الحذف والإيجاز ودلالة اليسير من اللفظ على المعاني الكثيرة. وهذا موجود بعضه في كلام العرب لكن لا يوجد مثل قوله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن

﴿ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨] فقد تضمن هذا معاني، ولا يوجد مثله في كلام العرب بهذه الفصاحة ومثله كثير في القرآن.

ومعنى الإيجاز هو إظهار المعاني الكثيرة باللفظ القليل ومن إعجازه ما فيه من علوم الغيب التي لم تكن وقت نزوله ثم كانت ومنها ما لم تكن بعد. ومنها ما كانت ولم يكن أحد يعرفها في لذك الوقت، فنزل علمها وتفسيرها في القرآن كخبر يوسف وإخوته. وخبر ذي القرنين، وأهل الكهف، وإخبار الأمم الماضية والقرون الخالية، التي قد اندرس خبرها وعدم عارف أخبارها، وغير ذلك. . . فنزل القرآن بتبيانها ونصها على ما كانت عليه. ودل على صحة ما أتى فيه من الأخبار أن كثيراً منها قد نزل في التوراة [كذلك]. فالتوراة مصدقة لما في القرآن والقرآن مصدق لما نزل في التوراة. وإعجازه أكثر من أن يحصى وله كتب مفردة لذلك (أبو محمد، مكي بن أبي طالب حَمّوش. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م. ٦: ٤٢٨٤-٤٢٨٦).

وجاء في الظلال ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]

فهذا القرآن ليس ألفاظا وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها. إنما هو كسائر ما يبدعه الله يعجز المخلوقون أن يصنعوه. هو كالروح من أمر الله لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره.

والقرآن بعد ذلك منهج حياة كامل. منهج ملحوظ فيه نواميس الفطرة التي تصرف النفس البشرية في كل أطوارها وأحوالها، والتي تصرف الجماعات الإنسانية في كل ظروفها وأطوارها. ومن ثم فهو يعالج النفس المفردة، ويعالج الجماعة المتشابكة، بالقوانين الملائمة للفطرة المتغلغلة في وشائجها ودروبها ومنحنياتها الكثيرة.

يعالجها علاجا متكاملا متناسق الخطوات في كل جانب، في الوقت الواحد، فلا يغيب عن حسابه احتمال من الاحتمالات الكثيرة ولا ملابسة من الملابسات المتعارضة في حياة الفرد وحياة الجماعة. لأن مشرع هذه القوانين هو العليم بالفطرة في كل أحوالها وملابساتها المتشابكة.

أما النظم البشرية فهي متأثرة بقصور الإنسان وملابسات حياته. ومن ثم فهي تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد وقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء يؤدي بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد! إن إعجاز القرآن أبعد

مدى من إعجاز نظمه ومعانيه، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به (سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي. ١٤١٢ هـ ، ٤: ٢٢٥٠-٢٢٤٩).

ومما سبق يتبين لنا من أقوال أهل التفسير أن هذه المعجزة الخالدة قد تحدت وما زالت تتحدى الإنس والجن إلى قيام الساعة ,وقد ثبت عجزهم وضعفهم عن الإتيان بمثلها لأنها من كلام رب العالمين الذي ليس كمثله شيئ في ذاته وصفاته وأفعاله وهذه المعجزة صفة من صفاته ,ودل كذلك على صفة متميزة تضاف إلى صفاتها وخصائصها التي تميزت بها عن معجزات الأنبياء السابقين عليهم سلام الله ورحمته أجمعين

المبحث السادس: آثارها على ثقافة الشعوب

وهذه من الخواص التي تميزت بها معجزة القرآن الكريم من بين سائر المعجزات، فهي ليست فقط دليل صدق وشاهد للنبوة، بل هي روح تسري في قلوب كل من استمع إليها أو قرأها مؤمناً كان أو كافراً، فإن فعل القرآن في النفوس كفعل السحر يقول الإمام الخطابي رحمه الله: «قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صَنيعُه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتَاعةً (أي فزعة) قد عراها الوجيب (أي الاضطراب) والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدوٍّ لرسول الله ﷺ من رجال العرب، وفُتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلون في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً .

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد رسول الله ﷺ ويعمد قتلَه، فسار إلى دار أخته، وهي تقرأ سورة «طه»، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن، وبعث الملأ من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليُوافقُوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من حم السجدة، فلما أقبل عتبة وأبصره الملأ من قريش قالوا: أقبل عتبة بغير الوجه الذي ذهب به.

ولما قرأ رسول الله ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا به وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه القرآن. وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن، ولما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت: أن قالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١ - ٢]، ومصداقَ ما وصفناه في أمر القرآن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وفي أي ذوات العدد منه، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد، وهو من عظيم آياته ودلائل معجزاته» (الخطابي، ١٩٧٦م، ٧٠-٧١).

ويضيف الزرقاني مبينا هذه الخاصية في معجزة القرآن فيقول: «فإن فعل القرآن في نفوس العرب كان أشد وأرقى وأبلغ مما فعلت معجزات جميع الأنبياء، وإن شئت مقارنة بسيطة، فهذا موسى عليه السلام قد أتى بني إسرائيل بآيات باهرة من عصا يلقيها، فإذا هي ثعبان مبين، ومن يد يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين، ومن انفلاق البحر فإذا هو طريق يابسة يمشون فيها ناجين آمنين إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في مصر وفي طورسَينا مدةَ التِّيه، فهل تعلم مدى تأثير هذه الهدايات في إيمانهم بالله وتوحيدهم وإخلاصهم لدينه، ونصرة رسوله، إنهم ما كادوا يخرجون من البحر بهذه المعجزة الإلهية الكبرى ويرون بأعينهم عَبدَة الأصنام والأوثان حتى كان منهم ما حكاه الله في القرآن: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾» [الأعراف: ١٣٨]

ثم يقول: «لكن القرآن الكريم وحده هو الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخاً وبثه روحا عاما، وأشعر النفوس بما جاء فيه إشعاراً ودفعها إلى التخلي عن موروثاتها ومقدساتها جملة وحملها على التحلي بهديه الكريم علماً وعملاً على حين أن الذي أتى بهذا القرآن رجل أمي لا دولة له ولا سلطان ولا حكومة ولا جند ولا اضطهاد ولا إجبار إنما هو الاقتناع والرغبة والرضا والإذعان ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. أما السيف ومشروعية الجهاد في الإسلام فلم يكن لأجل تقرير عقيدة في نفس ولا لإكراه شخص أو جماعة على عبادة، ولكن لدفع أصحاب السيوف عن إذلاله واضطهاده وحملهم على أن يتركوا دعوة الحق حرة طليقة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله (الزرقاني، ٢: ٤٠٦).

وتلخيصاً لما سبق نقول: أن معجزة القرآن لم تكن آية فقط، بل كانت نوراً وهدى ورحمة وروحاً سرت في النفوس ودواء شَفَا الصدورَ والقلوب لما له من التأثير في النفوس

والأبدان معاً، فكانت هذه من الخصائص الفريدة لمعجزة القرآن والتي تميزت بها عن معجزات الأنبياء السابقين قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، لأن القرآن هذه المعجزة لو تركوه يخالط الأسماع، فإنه ينفذ إلى القلوب، «فإن أثر القرآن الكريم على الإنسان عظيم، وظاهر لمن تأمل التأريخ والحاضر، وعظمة القرآن من عظمة قائله جل جلاله – وهو الذي يقول: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦]، فهو شفاء ورحمة ومصدر هدى ونور وسعادة للبشرية كلها. والقرآن يبعث السعادة الكاملة التي تبعث الأمل والرضا، وتثمر السكينة والاطمئنان وتحقق الأمن الروحي الإنسان فيحيا سعيدا هانئًا آمنًا مطمئنًا.

إن القرآن منهج للحياة، ليس كتابَ دين أو كتابَ فقه فقط، إنه كتاب معجزة جامع، جمع بين دفتيه كل صنوف الحِكَم والعلوم، وجميع ضروب المُثُل والأخلاق العليا والأدب كما قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ٣٨]» (المنجد، صالح. ٢٠٠٤).

وبفضل هذه المعجزة الخالدة استطاع الإسلام أن يغير مجرى التأريخ ويغير كل مناحي الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والفكرية إلى ما هو أفضل، ليس للعرب فحسب، بل لكل شعوب العالم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، ويعبر عن هذا المعنى أحد الكتاب بقوله: «وقد أتيح لدعوة الإسلام في فجر الرسالة إعداد فئة من هؤلاء الأفذاذ الذين ضربوا أروع الأمثلة في البطولة والفداء، وفيهم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، نجد في سيرة السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ، وفي تاريخ أبطال الإسلام في مختلف العصور الصورة الحيّة الرائعة لإنسان العقيدة في إيمانه، وبَسَالته، وإخلاصه، وبذله، وصدقه، وصبره، ونشعر ونحن نعيش في ظلال هذا الإيمان الدافق المكافح أن هؤلاء الأبرار الذين نهلوا من معين النبوة إنما كانوا الترجمة الحية المتحركة للمبادئ المثلى التي جاءت بها عقيدةُ الإسلام. لأنهم آمنوا بها، وفهموها ووعوا أبعادها الكبرى في الحياة، فلم يقفوا عند حدود معرفتها، وتعلمها، والتعمق في معناها، بل خَطَوا بها أشواطا بعيدة في مضمار التبليغ والتطبيق والتنفيذ، فكانوا مشاعلَ الهداية التي أضاءت للبشر سُبُل الرشاد، حيث حملوها عبر الصحارى والقفار، وتجاوزوا بها المفاوز والجبال، وعبروا بها السهول والبحار، ونشروا رايتها في كل أرض وطِئَتها أقدامُهم، ودخل الناسُ بفضل من الله، ثم بجهادهم وصدق دعوتهم في دين الله أفواجا، وليس هذا الرصيد العلمي والفكري والحضاري الضخم الذي وعاه التأريخ وسَطَّره بمِداد المَجد والفَخار إلا أثرا

بسيطا من آثار فتح العقيدة النيرة في تلك الأمم والشعوب. ولقد لفتَت هذه الظاهرة العظيمة كثيرا من الباحثين ومؤرخي الحضارة وراصدي نتائجها. وذكر كثير من المنصفين منهم أن عقيدةَ الإسلام ومبادئَه وثقافتَه هي الباعث الأساس لهذه النهضة الكبيرة التي أفادت الإنسانية منها، وجنت من ثمارها، وكانت من بَعد العامل الأول لتقدم أوربا وخروجها من ظلام القرون الوسطى (الخطيب، محمد عودة، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ٣٥٥).

ولقد يدهش الباحثون ومؤرخو الحضارات الإنسانية لذلك التحول العجيب السريع الذي تم في المجتمع العربي خلال القرن السابع للميلاد، إذ تحول الإنسان العربي بسُرعة فائقَة من إنسان قبلي عنصري أناني، ضيّق الحدود النفسية إلى إنسان عربي العرقِ والبيان، عالمي الفكر والجنان، إنساني النَزعة يحِبّ الخيرَ كلَّ الخير للناس كل الناس (عطار، أحمد عبد الغفور. ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.)

إن ما تشير إليه نصوص القرآن الكريم والسنة من حقائق تتعلق بالأنظمة والظواهر الكونية يجذب النفوسَ إلى حظيرة الحقِّ، وينير الأفئدة لتَستروَح في ميدان الرشاد ويوقظ الأحاسيس الوجدانية والمشاعر العاطفية بومضَات من الهدى، فلا تملك تلك المواجيد في أركان الكيان الإنساني إلا الانقياد لما تمليه عليه تلك المعارف، فإذا هو إنسان آخر في تفكيره، وأعماله، وتقلباته، وشؤونه، وكل حالاته المتعلقة بذاته أو علاقاته مع الآخرين.

أجل شواهد الإعجاز العلمي بما تشتمل عليه من منهج قويم ومنطق متسق مبين، يتطابق مع فطرة الإنسان ومنطلقات تفكيره، لذلك ولا بد وأن تبعث فيه قوة تحريضية إيجابية نحو السلوك المستقيم مع ما تَرسِمه في أعماق نفسه من جذور الاستقرار الذاتي والطمأنينة مقترنا كل ذلك مع التحول السلوكي الذاتي والمتبادل مع الأخرين (الحداد، عبد الحفيظ، ١٤٨٢ هـ، ٣٦- ٣٧). تحت شعار الأمة التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، وقد جاء به القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وأصبحوا أمة واحدة تربط أفرادها رابطة العقيدة وليس الدمَ، فيتّحِدَ شعورهم، وتتحد أفكارهم، وتتحد قبلتهم ووجهتهم، ووَلاؤُهم لله تعالى، وليس للقبيلة، واحتكامهم للشرع وليس للعرف.

وهذا ما أكده أحد المستشرقين ويدعى «مونتعري وات» عميد قسم الدراسات العربية بجامعة «أدنبرة» فأصدر كتابا سماه «الإسلام المتحد» قال فيه: إن فكرة الأمة كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البديعة التي لم يسبق إليها ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعا لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع بالمسلمين إلى «الوحدة» في أمة واحدة، تختفي فيها حواجز الأجناس

واللغات وعصبيات النسب والسلالة. وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه، فاشتملت أمته على أقوام من العرب والفرس والهنود والصينين والمغول والبربر والسود والبيض على تباعد الأقطار وتفاوت المصالح، ولم يخرج من حظيرة هذه الأمة أحدٌ لينشقّ عليها، وتقطع الصلة بينه وبينها (الخطيب، محمد عودة، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ٢٤٤).

وتلخيصا لما سبق نقول إن معجزة القرآن الكريم لم تكن أية فقط، بل كانت نورا وهدى ورحمة وروحا سَرَت في كل من ألقى السمعَ وهو شهيد، فكان لها الأثر ليس على العرب فحسب، بل على كل الشعوب في أوربا وإفريقيا وآسيا، فبفضل هذه المعجزة تبدلت أحوالهم من التخلف إلى الرقي، ومن الشتات إلى الوحدة، وتهذبوا وتأدبوا في سلوكهم، ونهلوا من علوم القرآن فاستفادوا وأفادوا البشرية جمعاء.

خاتمة

أحمدك ربي على جميع نعمك وآلائك وعلى توفيقك لي في إتمام هذا البحث عن «معجزة القرآن الكريم خصائصها وأثرها على ثقافة الشعوب»، فلك الحمد ولك الشكر ولك الثناء الحسن، والصلاة والسلام على من بعثته بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وبعد، فإن القرآن بحر ذاخر بالدرّ مليء بالكنوز، والباحث فيه لا يستطيع أن يحيط بعلومه ولا أن يصل إلى أغواره، فحسبه أن يجتهد في تحصيل ما تكون به الفائدة، وهذا يقيني وهذا هو جهدي في هذا البحث، لا أدعي أنني قد أحطت بكل جوانبه فإن القرآن لا يحيط به علما إلا العليم الخبير جل جلاله.

وختاما لهذا البحث، هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلاله ومنها:

أن معجزة القرآن تميزت بخصائص عدة جعلتها معجزة فريدة ومتميزة فهي: معجزة عقلية باقية ليست حسية تشاهد ويبقى خبرها، فهي صفة من صفات الله تعالى وهي كلامه فكانت باقية ببقاء من وصف بها وهو الله جل جلاله.

وهي معجزة تعددت فيها الوجوه فهي بذلك عدد لا يحصى من المعجزات المتجددة مع مر العصور وهي بذلك موافقة لطبيعة الرسالة الخاتمة.

وهي ببقائها وحفظها من التحريف والتغيير قد كانت خير حافظ وخير شاهد لمعجزات الأنبياء السابقين.

ومما تميزت به هذه المعجزة المباركة مجيء التحدي بها للثقلين الإنس والجن، فهي خاصية توفرت فيها، دون غيرها من معجزات الأنبياء السابقين - عليهم الصلاة والسلام - فلم يرد عنهم أنهم قد تحدوا بمعجزاتهم غير أقوامهم ومن يدعونهم من الإنس.

وهي مع ذلك معجزة تغلغلت في النفوس واستولت على القلوب لما فيها من الوقع العجيب والتأثير القوي كيف لا وهي كلام رب العالمين خالق القلوب والنفوس.

وبهذه الخصائص مجتمعة كان لها الأثر الواضح في كل الشعوب، فقد غيرت معتقداتهم، وتصوراتهم، وعدلت سلوكهم وثقافتهم إلى ما هو أقوم.

وختاماً أسال الله تعالى أن ينفع بهذا البحث ويكون دافعا لمن قرأه لمواصلة التعمق والكتابة في خصائص معجزة القرآن.

المراجع

القرآن الكريم. المدينة المنورة: طبعة مجمع الملك فهد.

ابن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد العبسي. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ١٤٠٩ هـ. المصنف في الأحاديث والآثار. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة الرشد.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. تحقيق: خليل شحادة. ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م. تأريخ ابن خلدون. الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر.

ابن عجيبة، أبو العباس، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. ١٤١٩ هـ. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. الطبعة الأولى. القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لمحمد بن مكرم بن علي. ١٤١٤هـ. لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان. تحقيق: صدقي محمد جميل. ١٤٢٠ هـ. البحر المحيط في التفسير. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر.

أبو محمد، مكي بن أبي طالب حَمّوش. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه. الطبعة الأولى. الإمارات العربية المتحدة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.

البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح. بيروت: دار طوق النجاة.

البقاعي، أبو الحسين، برهان الدين بن عمر. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. بيروت: دار الكتب العلمية.

الترمذي، محمد بن عيسى. ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م. سنن الترمذي. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي.
الحداد، عبد الحفيظ. جمادى الأولى ١٤٨٢ هـ. شواهد الإعجاز في تصحيح المسار. مجلة الإعجاز العلمي جامعة الملك عبد العزيز. العدد ٤٩.
حسن عبد الرحمن محمد، البنا. ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م. نظرات في كتاب الله. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
الحلبي، أبو الفرج، علي بن إبراهيم بن أحمد. ١٤٢٧هـ. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون. الطبعة الثانية. بيروت: دار الكتب العلمية.
الخطابي، أبو سليمان، حمد بن محمد بن ابراهيم. ١٩٧٦ م. إعجاز القرآن. مصر: دار المعارف.
الخطيب، محمد عودة. ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م. لمحات من الثقافة الإسلامية. بيروت: مؤسسة الرسالة.
دراز، محمد عبد الله. ١٤٣٦ هـ / ٢٠٠٥ م. النبأ العظيم. دمشق: دار القلم.
الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. ١٤٣٠ هـ. مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الزرقاني، محمد عبد العظيم. د.ت. مناهل العرفان في علوم القرآن. القاهرة: عيسى البابي الحلبي.
العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر. ١٣٧٩ هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
عطار، أحمد عبد الغفور. ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م. أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة. مكة المكرمة: مطبعة معروف.
الفيروز أبادي، أبو طاهر، محمد بن يعقوب. ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م. القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
القاضي عياض، أبو الفضل. ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. بيروت: دار الفكر.
القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين. ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.

سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي. ١٤١٢ هـ . في ظلال القرآن. الطبعة السابعة عشر. بيروت: دار الشروق.

السيوطي، أبي بكر، عبد الرحمن، جلال الدين. ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م. الإتقان في علوم القرآن. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ١٤٢٠هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشعراوي، محمد متولي. ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م. معجزة القرآن. القاهرة: المختار الإسلامي.

مصطفى مسلم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م. مباحث في علوم القرآن. دمشق: دار القلم.

الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. د.ت. المعجم الأوسط. القاهرة: دار الحرمين.

المنجد، صالح. موقع إمام المسجد. ٢٠٠٤ هـ.

https://www.alimam.ws/ref/٧٣٣